نشيد الوهم

مسرحية

عادل إبراهيم علي

الجهد الأول:

المكان صالون داخل بيت فقير ويفتقد إلى الكماليات.. في وسط الصالون طاولة مستديرة، حولها أربعة كراسي؛ اثنان منها أبيضان، واثنان أسودان. على الطاولة رقعة شطرنج. ستائر سوداء تخفي الجدران الثلاثة بينما يظهر بآخر الرواق الخلفي للمسرح باب أبيض من جهة اليمين، وفي قبالة الجمهور وسط آخر المسرح باب رئيسي يُفترض أنّه يفتح على الخارج لونه أحمر، مثير ومزعج.

هاتف قديم مهمل في ركن من الصالون على أن يكون ظاهرا، موضوع على منضدة وسخة وحقيرة.

نافذة مغلقة ولا تكاد تظهر.

يسمع صوت حالم ساحر لا يعرف مصدره وكأنّه وسوسة راقيه لشيطان مؤدّب

الصوت: ما رأيك بأمسية راقية، تحتفي فيها بوحدتك وسط العالم.. ما رأيك بمكان عام لا تكون فيه إلا أنت.. يوجد مكان في أطراف المدينة بهذه المواصفات.. ما رأيك؟

(يدخل رجل في لباس ملوّن ومتسخ أشبه بمهرج.. كثيف الشعر.. ملتحٍ.. ينشأ أفعالا مرحة كمرح الأطفال دون أن يتكلم.. يتلوّى كأفعى، يضحك بعصبية شديدة من حين لآخر. ثم في هدوء يتكلّم)

الرجل: يتهيّأ لي أنّي رجل فريد.. حكيم مثلا، عالم طبيعيات (يضحك في عصبية ويتلوّى) أنا.. أنا عالم طبيعيّات؟ هل من الممكن تخيّل ذلك؟ هذا أمر غير معقول.. (صمت) بل هو معقول! لكن كيف؟

(لحظة هدوء وتفكير قصير)

هذه أمور معجزة للفكر.. لأتجاوز ذلك.. المرح.. المرح هو سرّ الحياة العجيب لتجاوز أسئلتها الحارقة.. إني لا أحسن غير المرح فلأمرح إذن، وأتجاوز..

(ينتبه بعد لحظة فيعتدل واقفا ويغيب مفكرا قليلا)

"إنّ كل سؤال في الفلسفة يتحول إلى جواب جديد"

هكذا تكون الفلسفة ذات جدوى.. (يجيل نظره في الصالون ثم يتكلّم في غضب) من هذا الأحمق الذي صمّم هذا الفضاء؟ (بعد لحظة قصيرة) ذلك الأحمق هو أنا.. يا لسعادتي بنفسي إني لأحمق عبقري، بل أنا عبقري أحمق.. لأمرح إذن وألعب..

(يعود إلى مرحه، وفي الأثناء يدخل رجل في لباس أبيض.. فيشاركه لعبه بحذر كأنه يخشى أن يتّسخ لباسه. ثم يتوقف ويتقدّم نحو الكراسي ويجلس على كرسيّ أبيض)

رجل البياض: أنت أنت، نِعم أنت. لا تزال على حماقتك ولهوك الذين عهدتهما منك منذ أن عرفتك في إحدى أمسيات النقابة.

رجل الألوان: (وهو يلهو) أيّة نقابة؟

رجل البياض: نقابتنا "الانبطاح العام لمحبي الحياة"

رجل الألوان: (يتوقف عن لهوه لحظة مفكرا ثم ما يلبث أن يعود للهو) لا أذكر أني سمعت عنها يوما ما.. كل ما أذكره أني هنا وأنّي محبّ للمرح..

رجل البياض: غريب رغم أنك كنت عضوا بارزا في النقابة.. ألا تذكر شيئا عن مداخلاتك اللطيفة

رجل الألوان: (يتوقف) لا أذكر شيئا (يقترب منه بتحدّ) ولا أحبّ أن أذكر.. أنا لا أعيش على الذكريات.. (يرتمي على الكرسي المقابل متهالكا لكنه ما يلبث أن يستقيم في جلسته) آه! يبدو أني قد أجهدت نفسي فعلا..

رجل البياض: لا تجهد نفسك وإلا.. فقدت متعة الحياة

رجل الألوان: هيه يا رجل الحياة بل إنّي كلّما أجهدت نفسي إلا وشعرت أني حي

رجل البياض: الحياة في السكون.. أسكن وأنظر الحياة من حولك تتحرّك ستشعر أنك تتحرك. عندئذ ستفهم الكثير من الأمور..

رجل الألوان: لا أريد أن أفهم لا القليل ولا الكثير..

رجل البياض: (يجيل نظره في الصالون) إنّك لا تحسن حتى اختيار الألوان..

رجل الألوان: عن أي ألوان تتحدث هذا أسود قيمة ضوئية

رجل البياض: إنّه يحيل على العتمة والظلام.

رجل الألوان: فليُحل على أي شيء.. المهم أن يمنع عني أذى النور..

رجل البياض: ألا تحب أن تدخل الشمس بيتك؟

رجل الألوان: أمّا هنا فلا.. أريد لهذا المكان أن يكون لي.. لي وحدي، الشمس مهما كان دورها تعتبر غريبة عني..

رجل البياض: لا أوافقك.. لكن يجب أن أعترف أن هذا المكان مريح للمرء..

رجل الألوان: أرأيت إنّك تعترف. ليس المكان سجنا بل هو مفر..

رجل البياض: مفر؟ من أي شيء تفر؟

رجل الألوان: من كل شيء.. من كل غزو.. من كل آخر..

(يشير رجل البياض إلى النافذة المخفيّة وراء الستار)

رجل البياض: أليست هذه نافذة؟

رجل الألوان: أعتقد ذلك، محق على ما يبدو.. لقد نسيت

(يتقدم رجل البياض ويحاول إزاحة الستار فيتسرب بعض الضوء إلى الغرفة، يقوم رجل الألوان غاضبا)

رجل الألوان: ماذا تفعل؟ أعد هذا الستار. آه! يا لك من مزعج.. أعد الستار الآن

رجل البياض: (وهو يعيد الستار إلى مكانه) آسف. أردت فقط أن أرى الشمس..

رجل الألوان: لتنظرها في مكان آخر.. لتحترم خصوصية المكان أيها الغريب

رجل البياض: أكرّر أسفي لكن.. الشمس..

رجل الألوان: الشمس في الخارج. ونحن بالداخل.. إن شئت فأخرج لها.

رجل البياض: تطردني

رجل الألوان: أبدا ليس من سبب لأطردك.

رجل البياض: لابد من تهوية المكان..

رجل الألوان: لا تقلق.. زوجتي تفعل ذلك بانتظام. فكما تعلم هناك أشياء لا بد منها

رجل البياض: والتنظيف؟ إنّ الغرفة جدّ وسخة.

رجل الألوان: أمّا هذه فلا.. هذا مكان غير عادي.. إذا نظفناه فقد خصوصيته. لكل ذرة من غبار هنا ذكرى..

رجل البياض: أنت رجل متناقض.. حين حدثتك في أمور النقابة قلت بكل ثقة أنّك لا تعيش على الذكريات وها أنت تقيم وسطها..

رجل الألوان: ما الذي تريده؟

رجل البياض: أن أفهم

رجل الألوان: (ثائرا) لا يحق لك فهم شيء.. ما دخلك أنت حتى تفهم.. إنك تزعجني أيها الغريب

(يتقدّم رجل البياض بهدوء إلى الهاتف ويتحسّسه بأصابعه)

رجل البياض: الهاتف أيضا يغزوه الغبار.. (يعود إلى كرسيّه) أليست رقعة شطرنج؟

رجل الألوان: أجل وبيادق..

رجل البياض: هل تلاعبني؟

رجل الألوان: بودي.. لكن ذلك قد مُنع علي

رجل البياض: مُنع؟ من هذا الذي يمنعك من رغباتك..

رجل الألوان: زوجي.. زوجي حرّمت عليّ أمورا كثيرة في هذا المكان..

رجل البياض: الشطرنج مثلا؟

رجل الألوان: الشطرنج والتلفاز والحاسوب والنوم وأشياء أخرى..

رجل البياض: آه! لهذا إذن لا أرى شيئا من هذه الأمور.. إنك إذن لمعزول عن العالم..

رجل الألوان: لا أوافقك.. مادمت أقوم بواجباتي تجاه العالم

رجل البياض: دع عنك هذا جانبا.. إنّ هذا المكان لغريب. إنه.. إنه لا ينتمي إلى العالم..

رجل الألوان: أجل.. سبق وأخبرتك أنّه مفرّ..

رجل البياض: مفرّ أم سجن؟

رجل الألوان: فليكن سجنا ما دمت قد اخترته بنفسي.

رجل البياض: هل واثق أنّك اخترته؟

رجل الألوان: لا يهم.. المهم أني مرتاح وكفى..

(يتهيأ رجل البياض لإشعال سيجارة)

رجل الألوان: (وقد قام) أوه.. ما هذا الذي تفعله؟

رجل البياض: سأشعل سيجارة

رجل الألوان: هنا؟ تشعلها هنا..

رجل البياض: لِمَ لا؟ أممنوع هنا؟

رجل الألوان: يبدو أنك ستورطني وتزيد مشاكلي..

(تدخل امرأة في هدوء في لباس أشبه بلباس الراهبات لكنه ملون)

امرأة الألوان: (وهي تتجه بالكلام إلى رجل الألوان) مالي أراك لا تعمل؟ ومن هذا السيد الغريب الذي تجالسه؟

رجل الألوان: إنّه.. إنّه.. إنه رجل غريب لا أدري من أين جاءني..

(المرأة تحدق في رجل البياض بوقاحة. ثم تجيل بصرها وتتجه ناحية النافذة ثم تصيح غاضبة وهي تفحص ستارها)

امرأة الألوان: من حرّك ستار النافذة هل جرؤت وخالفت التعليمات

رجل الألوان: (وهو مرتبك) أبدا.. لست أنا يا زوجي إنّه..

(يتوجه بالكلام إلى رجل البياض) أرأيت أيها الغريب لقد أوقعتني في المشاكل..

امرأة الألوان: تكلّم، من حرّك الستار؟ تكلّم.. اعترف أيها الجبان..

رجل الألوان: (وقد زاد ارتباكا) لقد فعلها رجل الحياة.

امرأة الألوان: من تعني؟

رجل الألوان: الغريب يا زوجي.. الغريب

امرأة الألوان: (مخاطبة رجل البياض) أنت أيها الغريب.. أنت تفعل هذا.. نسيتَ أنك ضيف!

(ثم متوجهة بالكلام إلى رجل الألوان) لماذا تسميه برجل الحياة؟

رجل الألوان: لأنه يرتدي البياض يا زوجي

امرأة الألوان: ما دخل البياض بالحياة؟

رجل الألوان: لا أعرف.. ربما لأن الحياة هي الصفاء. والصفاء هو البياض.

امرأة الألوان: أيّا كان اسمه..لا أقبل أن يفسد مشروعنا (ثم بحزن) أرأيت، يلزمنا الآن شهر جديد من العمل حتى نصل إلى ما كنّا عليه قبل تحريك الستار

(تجثو على ركبتيها في حزن)

(يقوم رجل الألوان إليها ويحاول أن يوقفها)

رجل الألوان: (بحب) لا تحملي هما يا زوجي كل شيء سيكون على ما يرام..

امرأة الألوان: كيف؟ كيف؟ يلزمنا شهر..

رجل الألوان: إني أعمل يا زوجي.. إني أعمل

امرأة الألوان: كلا.. أنت لا تعمل بل تجالس الغرباء..

رجل الألوان: ما أفعل يا زوجي؟ ما أفعل؟ لولا أغلقت هذا الباب..

امرأة الألوان: لا يمكنني ذلك.. انه من متممات الفرضية..

رجل الألوان: لا تقلقي.. سننجح. كوني واثقة ما دمت قد وضعت ثقتك في عبقريتي.

امرأة الألوان: (وقد تغيرت لهجتها وملامحها) إني لحمقاء.. إذ توهمت أنك عبقري

(تنصرف غاضبة)

(رجل الألوان يعود ويجالس ضيفه الذي يشعل سيجارته)

رجل الألوان: (وهو يفتك منه السيجارة، ويجول بها في الفضاء بفزع كأنها قنبلة)

ما الذي فعلت.. ماذا صنعت بي أيها الغريب؟ ما الذي صنعت بي؟

آه! كيف يمكن إطفاؤها؟! رائحتها تنتشر في المكان!! آه.. آه!!

رجل البياض: (وهو يلاحقه) هاتها.. هاتها.. سأطفئها هاتها.. لا تقلق..

رجل الألوان: (وهو يجول فزعا) لا.. لن تستطيع. سوف تفسد قدسيّة المكان..

آه.. آه ! مزعج.. مزعج.. مزعج.. (يجثو على ركبتيه يائسا)

رجل البياض: (وقد أمسك بالسيجارة وأخذ يفركها بين أصابعه) لا تنزعج.. أنظر لقد أطفأتها..

رجل الألوان: أطفأتها؟! أواثق أنت؟!

رجل البياض: تمام الثقة.. هذا أمر بسيط..

رجل الألوان: (وهو يتفرس حنقا في ضيفه) أخرج أيّها الغريب.. ارحل أرجوك..

رجل البياض: تطردني

رجل الألوان: نعم إني أطردك أيها الوقح.. أخرج عليك اللعنة!! إنّك نجس.. إنك نجس..

(ثم وهو يدفعه) هيّا غادرني ولا تنجّس المكان..

رجل البياض: لِمَ هذا التحامل؟ هل تجاوزت حدود اللباقة.. إني لم أفعل شيئا عدا إشعال سيجارة..

رجل الألوان: بل فعلت أشياء كثيرة!! السجائر ممنوعة.. ممنوعة.. آه! لو رأتك زوجي..

هيّا أخرج ولا تعد.. (يدفعه نحو الباب الأحمر)

رجل البياض: أخرج.. لكني سأعود.. حينما تهدأ.. (ثم وهو يغادر) رجل بائس.

(ينصرف ويبقى رجل الألوان ذاهلا لحظة ثم يأخذ في تفحّص أرضيّة المكان يدقّق النظر بشكل مضحك، وتتغير ملامح وجهه)

رجل الألوان: آه! كيف يُزال هذا؟ إنّها لكارثة!! والرائحة.. كيف تختفي هذه الرائحة؟

(تعود الزوجة فزعة)

امرأة الألوان: آه! الرائحة.. الرائحة.. يا للكارثة!!

رجل الألوان: أرجوك لا تغضبي يا زوجي..

امرأة الألوان: لا أغضب.. يقول لا تغضبي! أفسدت المشروع بالكامل ولا أغضب؟ آه.. آه!!

(تقول ذلك بطريقة مضحكة شبيهة بتجشؤ طويل لمبطون)

رجل الألوان: إني لم أفعل شيئا يا عزيزتي.

امرأة الألوان: بلى فعلت.. لقد دخنت! تسببت في إفساد المشروع، ولعلك كدت تحرق المكان..

آه! آه! آه! (تتأوه بنفس الطريقة المضحكة، آهات طويلة وكأنّها تتجشأ بألم)

رجل الألوان: لست أنا يا زوجي. إنّه الغريب..

امرأة الألوان: الغريب مرة أخرى! آه! لماذا يصرّ الآخرون على إفساد مشروعي؟

رجل الألوان: سنصلح كل شيء يا زوجي.. أرجوك لا تقلقي

امرأة الألوان: لكن كيف؟ كيف؟ (تصدر آهة طويلة مضحكة بينما تجثو على ركبتيها)

رجل الألوان: (بانفعال مضحك) لا.. لا.. لا يجب أن تنكسري هكذا مثل حرف الكاف يا حبيبتي.. أرجوك لا تفعلي هذا بي..

امرأة الألوان: كيف لا أنكسر؟ كيف؟ وقد خسرت كل شيء.. ستهتزّ مكانتي العلمية، ولن يغفر لي أساتذتي..

رجل الألوان: المشكلة في الباب.. الباب الذي يفتح على الخارج.. لولا أن أغلقته. آه!

امرأة الألوان: (تستقيم بتثاقل) لكنه من متممات الفرضية..

رجل الألوان: دعينا من الفرضيات.. إني لست فأرا.. لست فأرا.. أنا إنسان

امرأة الألوان: إنسان يخضع للتجربة.. لكن فشلت التجربة. آه!

رجل الألوان: (بلهجة أمل) لم نفشل، بل واجهنا الصعوبات.. (ثم بغضب مفاجئ) الخطأ خطأك. حدّدي على الأقل الأشخاص المسموح لهم بالدخول من هذا الباب الملعون.. (يشير إلى الباب الأحمر)

امرأة الألوان: لا يحق لي أن أحدد.. يفترض أن يكون مفتوحا للجميع وأن تتعامل مع الجميع بعفوية..

رجل الألوان: لكنّهم يفسدون المشروع..

امرأة الألوان: تلك هي المشكلة.. تلك هي المصيبة (تصدر آهة مطولة مضحكة)

رجل الألوان: لا تتحسري هكذا.. إنّك لتؤذين مشاعري! (يصدر آهة مضحكة ومطولة مثلها)

امرأة الألوان: (بلهفة) لكن كيف؟ كيف أفعل؟ كيف؟!

رجل الألوان: (يتحرك في الفضاء متوترا ويحرك يديه) لنبدأ من جديد.. لنبدأ من جديد..

امرأة الألوان: (تحرك هي الأخرى يديها متوترة) ولكن الوقت.. الوقت..

رجل الألوان: (يتوقف عن الحركة ويخاطبها بغضب) مازال لدينا وقت.. لنبدأ من جديد، لنبدأ من جديد. آه! (يصدر آهة طويلة مضحكة)

امرأة الألوان: (بتحسّر مصطنع) لقد أضعنا ثلاثة شهور.. كنا على شفا الوصول إلى نتيجة..

لكن.. آه!

رجل الألوان: مازال أمامنا وقت كاف لنفعل.. (ثم بحماس أبله مضحك) هيّا، جدّدي ثقتك بي..

امرأة الألوان: ما نفعل؟

رجل الألوان: (بحماس) ننظّف المكان ونعطّره. و.. و.. (يبحث عن كلمات مؤثرة)

و.. (ثم كالمنتصر المهتدي إلى فكرة) ونبدأ من جديد..

امرأة الألوان: سيأخذ ذلك منا وقتا. آه! (تصدرها بنفس طريقتها السابقة المطولة)

رجل الألوان: يجب أن نتعب من أجل ما نريد..

امرأة الألوان: (تصفق بفرح) يا لك من حكيم! (تقول بعزم قائد) إذن لنعد إلى ما قبل الصفر

رجل الألوان: (بانكسار) أجل لكن..

امرأة الألوان: ماذا أيضا؟ آه!

رجل الألوان: ما رأيك بمزلاج لهذا الباب؟

امرأة الألوان: (بغضب) لا.. لا.. إنّك تفسد الفرضية وتقتل التجربة!!

رجل الألوان: (بحنق وبلهجة مضحكة ساخرة) تجربة.. تجربة.. كم صرت أبغض هذه الكلمة..

كم صرت أبغضها.. آآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآه!!

إظلام- تعتيم

الجهد الثاني:

(نفس المكان.. غير أنّ الستار الأسود قد أزيل وحلّ مكانه ستار أبيض..

باقي العناصر على حالها، يصدح الصوت..)

الصوت: يا من يقتله الصمت ويغزوه التفكير.. اعرض ذاتك على العالم ولا تخف..

يا من خبر فشله، لماذا تصر على أن تضع نفسك في الامتحان من جديد

في كل مرة..

(يدخل رجل الألوان ببطء وتثاقل، يغزوه الحزن والحيرة.. يقف قبالة الجمهور في منتصف الركح)

رجل الألوان: خبّرتني زوجتي أنها سوف تجدّد المحاولة فالمشروع بالنسبة إليها مشروع حياة أو موت كما يقال..

(يصمت برهة ويغيب كالمفكر)

رجل الألوان: خبّرتني زوجتي أننا سنغيّر مراحل البناء وفقا لنفس الفرضية..

(يلتفت بغضب) غير أن هذا الباب اللّعين يزعجني.. أحمر بلا مزلاج.. تنتظر في كل لحظة أن يفاجئك غريب بقدومه.. آه، كم هذا مرهق!

(يتقدم ببطء نحو أحد الكراسي ويرتمي عليه متهالكا.. تدخل في تلك اللحظة امرأة الألوان مسرعة في مرح وتجول كالبلهاء في الفضاء)

امرأة الألوان: زوجي.. أين أنت أيها العزيز؟ أين أنت؟

رجل الألوان: ها أنا يا زوجي.

امرأة الألوان: أين؟ إني أسمعك.. لا شك أنك قريب..

رجل الألوان: خطوات عن اليمين.. خطوات إلى الأمام.. إني على الكرسي

امرأة الألوان: خطوات عن اليمين (تتحرك) خطوات إلى الأمام.. إنك على الكرسي. يا لسعادتي بك

رجل الألوان: (مستقيما) من أنت؟

امرأة الألوان: أنا زوجك..

رجل الألوان: يا لسعادتي بك.. كم اشتقت إليك..

امرأة الألوان: إنك لم تفارقني إلا قبل لحظات..

رجل الألوان: إني أشتاق إليك في كل ثانية..

امرأة الألوان: الظروف تفرّقنا.

رجل الألوان: لنزل كل المعوقات

امرأة الألوان: والمشروع

رجل الألوان: إنّه يفرقنا

امرأة الألوان: وجب أن يتم..

رجل الألوان: لكن..

امرأة الألوان: لا تقل لكن، مكانتي العلمية في الميزان..

رجل الألوان: إني أتحمل ثقله وما يسببه لي من ضجر من أجلك..

امرأة الألوان: آه، هنيئا لي بحبّك (تمسك بيديه)

رجل الألوان: هنيئا لي بملمسك

(تجذب يديها بقوة كأنها انتبهت لأمر وتجول بخفة في الفضاء..)

امرأة الألوان: ما رأيك في هذا التصور الجديد؟ ما رأيك بالبياض؟

رجل الألوان: كل شيء جيد.. لا يقلقني عدا هذا الباب..

امرأة الألوان: هيا.. لا تغضبني.. إنّه من متممات الفرضية..

رجل الألوان: (يجثو على ركبتيه عندها في الوسط) أرجوك لا تغضبي، فمن أجلك أقبل ألف باب مثله..

امرأة الألوان: بل بابا واحدا.

رجل الألوان: فليكن ما تريدين..

امرأة الألوان: زوجي فلتنهض.. لست أنا الذي أريد بل العلم.. أرجوك ثق بي..

سترى عند انتهاء المشروع أيّ مكان لنا بالأوساط العلمية..

رجل الألوان: هل سيتناقلون صورنا عبر الصحف والتلفزيون والأنترنات يا زوجي؟

امرأة الألوان: وأكثر من ذلك.. الأحاديث والتصريحات والمكانة العلمية.. لا تشغل بالك الآن إلا بالعمل.. يجب أن تثق أنّ نجاح المشروع سيفتح لنا الآفاق الواسعة..

رجل الألوان: وإذا فشلنا..

امرأة الألوان: ما أبغضك!! (تذهب عنه غاضبة وقبل الخروج عن اليمين تلتفت إليه قائلة) عندما نفشل سنهوي كعمارة (تخرج)

رجل الألوان: زوجي.. أرجوك لا تغضبي إن كنت غبيا.. أحمق أحمق دائما أتفوه بالحماقات.. لكن المشروع سينجح، من أجل العيون الزرق.. لكن لمن هذه العيون الزرق

(تدخل امرأة غريبة المظهر)

المرأة الغريبة: مرحبا.. لقد أتيت

رجل الألوان: (ينتبه) أنت إذن صاحبة العيون الزرق.. لكن من أنت؟

(تتحرك في الفضاء فاحصة)

المرأة الغريبة: لي عينان فقط.. ثمّ إنّهما ليسا زرقاوان.. إنّهما.. (تدور حوله) إنّهما.. لست أدري ما لونهما.. (ثم ناظرة نحوه بحدّة) واو!!

رجل الألوان: ماذا؟

المرأة الغريبة: إنّ ثيابك متّسخة..

رجل الألوان: أخجلتني

المرأة الغريبة: واو

رجل الألوان: ماذا أيضا؟

المرأة الغريبة: لباسك قديم

رجل الألوان: أحرجتني

المرأة الغريبة: واو

رجل الألوان: أوه!

المرأة الغريبة: لباس مهترء

رجل الألوان: واو

المرأة الغريبة: ماذا؟

رجل الألوان: نظرتك ثاقبة

المرأة الغريبة: أحرجتني..

رجل الألوان: (يضحك)

المرأة الغريبة: أصمت.. (ثم وهي تتقدم نحوه بينما يتراجع هو أمامها خطوة بخطوة) ثيابك تافهة، وسخة، ملونة، مهترئة، رثّة، إنّها لا تليق برجل معاصر مثلك.. (تتوقف) أليس هذا صادقا؟

رجل الألوان: نعم.. لكن من أنت؟

المرأة الغريبة: أصمت (تخرج شريطا وتأخذ مقاساته)

رجل الألوان: لا أفهم ما تفعلين.. لكني غير منزعج إنّ ما تفعلينه ممتع، لأنك بعد إذنك آنسة جميلة

المرأة الغريبة: أصمت.. أحقا.. أحقا أنا جميلة؟ هل تراني كذلك فعلا؟

رجل الألوان: طبعا.. أنا متأكد أنّك أجمل فتاة!

المرأة الغريبة: أنت تسخر مني.. لو كنت كذلك ما نبذني زميلاتي..

رجل الألوان: ذلك لأنهنّ يغرن منك

المرأة الغريبة: أحقّا (تضحك) أنت رجل.. أنت رجل..

رجل الألوان: ولا كلّ الرجال..

المرأة الغريبة: بالفعل.. بالفعل.. أحسنت إنّك رجل ولا كلّ الرجال (تضحك)

رجل الألوان: طبعا.. طبعا وإلا ما اختارتني زوجتي زوجا لها

المرأة الغريبة: أنت رجل متزوج؟!

رجل الألوان: ألا يبدو ذلك عاديا؟

المرأة الغريبة: نعم.. إنّه أمر غير عادي

رجل الألوان: لم تقولين ذلك؟ إنك تجرحين شعوري.. ألا يمكنني أن أكون زوجا صالحا؟

المرأة الغريبة: أوه.. كلّي أسف، لم يكن قصدي (تتقدم نحوه) لكن أنظر إلى نفسك..

رجل الألوان: ما تعنين؟ إنّك تثيرين حيرتي..

المرأة الغريبة: لا يمكن لمثلك أن يفكر بالزواج إنّه شيء لا يناسبك. لا شك أن ذلك تمّ بطريقة ما.. ولا شك أنها طريقة سيئة..

رجل الألوان: بالعكس، فطريقة زواجي يصنفها العلماء كأفضل طريقة عرفها العصر الحديث

المرأة الغريبة: أوه! حدثني عنها في سرعة واختصار، فإني فضوليّة أكره التشويق!!

رجل الألوان: حسنا (يقوم ويتحرك في الفضاء بخطوات واسعة متكلما بزهو وخيلاء)

كنت في إحدى الجلسات العامة حين حدقت بي امرأة صارت الآن زوجتي..

حدّقت بي لفترة طويلة مما أشعرني بالحرج.. وبينما أنا كذلك تقدمت نحوي

وجذبتني من يدي بقوة وقالت وأنا في قمة ذهولي؛ اتبعني في صمت إنك

من تنفعني، سأتزوجك فلا ترفض.. تبعتها كالأبله ونفذت ما قالت..

ومنذ ذلك الوقت وأنا هنا.. قطعت علاقاتي بجميع من أعرف..

أصبحت ملك زوجي!!

المرأة الغريبة: يا الله كم تحب زوجتك..

رجل الألوان: ما دامت ضحت من أجلي فكيف إذن لا أحبها

المرأة الغريبة: كيف؟ إني لا أفهمك..

رجل الألوان: ألم تضحي بعالمها الخاص من أجل عالم مشترك بيننا..

المرأة الغريبة: وأين هذا العالم المشترك بينكما؟ إني لا أرى غير قبر تسكنه وحدك..

رجل الألوان: إيّاك أن تردّدي ذلك.. سوف تغضبينني، وإذا غضبت أغضبتك وأنا لا أحب أن أغضب صاحبة العيون الزرق التي انتظرتها..

المرأة الغريبة: عينان.. عينان فقط.. (ثم بفضول أنثوي أبله) أحقّا كنت تنتظرني؟

رجل الألوان: نعم كنت أنتظرك

المرأة الغريبة: (بلهفة) كيف؟ كيف؟ هل أنت عرّاف؟!

رجل الألوان: كلا، كلا، بل فأر تجارب (ثم مستدركا بسرعة وتلعثم) أعني رجلا عبقريّا

وصاحب مشروع.. له باب مفتوح، يُنتظر أن يدخل منه غريب في كلّ لحظة..

المرأة الغريبة: أنا غريبة؟ أهكذا تعتبرني؟ هل هذه مكانتي عندك؟ آه! ذلك محزن..

رجل الألوان: كلا كلا، أنا لم أقصد ذلك، أرجو عفوك. أنت لست غريبة ولكنّك جديدة عليّ وكما تقول زوجتي كلّ إنسان جديد يضيف لك من روحه.

المرأة الغريبة: ام.. هكذا تكون مهذّبا. حدثني الآن عن المشروع

رجل الألوان: أيّ مشروع؟

المرأة الغريبة: ألم تقل إنّك عبقريّ صاحب مشروع!!

رجل الألوان: آه، أرجوك لا تطرقي هذا الباب

المرأة الغريبة: هل يغضبك؟

رجل الألوان: (كمن يهمس بصوت خفيض) لست أنا بل زوجتي

المرأة الغريبة: هل لك أن تفسّر لي؟

رجل الألوان: لا يمكنني.. لا يمكنني.. إذا فسّرت بطل كلّ شيء.. أرجوك كفّي عني أسئلتك المزعجة

المرأة الغريبة: أنا مزعجة؟!

رجل الألوان: أوه!!

المرأة الغريبة: لا مشكلة.. ما لهذا أتيت؟

رجل الألوان: آه، بالفعل. لماذا أتيت أيّتها الجميلة؟

المرأة الغريبة: أحقّا تراني جميلة؟

رجل الألوان: أخبرتك سلفا أنّك جميلة، وعيناك زرقاوان

المرأة الغريبة: وأخبرتك أنّهما ليسا زرقاوان

رجل الألوان: بل هما زرقاوان!!

المرأة الغريبة: لست متأكّدة من لونهما.. قد تكون صادقا

رجل الألوان: لا يهمّ.. المهم، ما حاجتك عندي أيّتها الجميلة؟

المرأة الغريبة: مرة أخرى جميلة!! هل تعتقد ذلك فعلا؟

رجل الألوان: أوه! سنكرّر هذا ليومين!! أنت جميلة.. جميلة.. جميلة.. هل يرضيك ذلك؟

المرأة الغريبة: امم.. إنّه يُنشيني. لكن قد تكون منافقا!!

رجل الألوان: اعرضي حاجتك وانصرفي

المرأة الغريبة: هي حاجتك وليست حاجتي. وقد أخذتها.. (ثم وهي تتقدم نحو الخارج) وداعا أيّها المهرّج.. (تتوقف) هل متأكّد أنّي جميلة؟ هل عيناي زرقاوان؟

(تغادر من الباب الأحمر)

رجل الألوان: ما بالها تسأل عديد المرات عن جمالها!! هل ترى نفسها قبيحة؟ إني أراها قبيحة في الحقيقة (يقلد حركاتها ومشيتها بسخرية) لكني أقول جميلة على سبيل المجاملة فقط!! إني رجل منافق يا لسعادتي بنفسي!! إنّ النفاق هو مفتاح النجاح في هذا العصر!! لكن هل تبدو عيناها زرقاء بالفعل!! (يغيب لحظة مفكّرا) إنّي لست متأكّدا من هذا أبدا..

(يتقدّم نحو الكرسيّ ويجلس، يخرج من جيبه قطعة بسكويت متهيّئا لأكلها، يصدع صوت امرأة الألوان من الخارج)

امرأة الألوان: ممنوع

رجل الألوان: (مخفيا قطعة البسكويت في خوف) ممنوع ممنوع، كلّ شيء ممنوع!! يا لهذا العذاب

(يُفتح الباب المركزي الأحمر على مصراعيه.. يظهر رجل أنيق، في لباس ملون. تسريحة شعره غريبة ومضحكة. يتحرّك سريعا نشيطا، بيده مزهريّة. يتقدّم ليضعها على الطاولة. ثم تتبعه في الظهور شابّتان في لباس مهنيّ موحد.. يقفان عند عتبة الباب)

رجل الورود: (مخاطبا الشّابّتين) تفضّلا، تفضّلا.. تقدّما

(يتقدّمان وهما محمّلتان بمزهريات وورود كثيرة، مختلفة الألوان والأنواع والأشكال.. يضعانها في كلّ مكان. بينما يوجّههما هو بطريقة مضحكة. وتتخذ حركاته شكلا شبيها بحركات قائد الأوركسترا الموسيقيّة.

في ما تبدو ملامح الدهشة على رجل الألوان)

رجل الورود: وزّعا الورود في كلّ مكان! جمّلا المكان! لتتناسق الألوان..

رجل الألوان: (متحرّكا في الفضاء بغضب، وفاحصا الأمر باستنكار) سحقا للغرباء!! من أنتم وماذا فعلتم بي؟!

رجل الورود: (بغرور ساذج) يعجبك عملنا، صحيح؟

رجل الألوان: (ثائرا) هل تحسبني معرضا تشكيليّا، تزيّن فضاءه بالورود؟

رجل الورود: لِمَ تقول ذلك؟ أليس هذا بيتك؟

رجل الألوان: نعم هو بيتي بالفعل.. فكيف تفسّر إذن اقتحامك له دون إذني لتملأه بورودك؟

رجل الورود: ولكن يا سيدي أردنا أن نساعدك.. بيتك يعمّه السكون.. إنّه كالمقبرة.. نحن من جهتنا نريد أن نضمن لك توازنا نفسيّا..

رجل الألوان: تنافسا زونيّا!! ولكن من أنتم؟

رجل الورود: نحن ممثلين عن شركة "تحن" الذي يعني التأمين على الحياة النفسيّة.

(ثم بحذلقة) تاء حاء نون

رجل الألوان: لكني لم أطلب تأمينا من أحد

رجل الورود: بالطبع نحن نعرف هذا.. لكن أساس عملنا هو أن نقدّم الخدمة لمن لا يطلب

رجل الألوان: .....

رجل الورود: أعرف أنّك لا تفهمني.. حسنا؛ نحن نفترض أنّ مريض النفس كمريض العقل. فهو إمّا لا يدرك أنّه مريض وإمّا لا يريد أن يتعالج أو أنّه لا يستطيع لسبب ما الإفصاح عن مرضه.. (بحذلقة) لذلك نتدخّل من قبيل عملنا الإنسانيّ النبيل!!

رجل الألوان: لكنكم تفشلون عملنا.. إنّكم تفسدون المشروع أيّها الغرباء!

رجل الورود: ام! زميلتنا شخّصت حالتك وهاتفتنا فعرفنا أنّك تحتاج الورود في مقبرتك هذه!

رجل الألوان: تعتقد أن هذا هو العلاج؟!

رجل الورود: نعم إني متأكّد.. فعملنا علمي يعتمد الفرضيات والنظريات

رجل الألوان: لكني لست مريضا.. آه! إنّكم تفسدون المشروع..

رجل الورود: آه! المشروع!! تحدثت زميلتنا عن شيء من هذا القبيل. لكن لا تقلق فالورود لا تفسد شيئا بل تصلح كلّ شيء.. احتراماتي أيّها السيّد

(ينحني احتراما لرجل الألوان، ثم مصفقا ومخاطبان الشابتان)

هاي les filles انصراف.

(تتراجع الشابتان إلى الخلف حتى يختفيا، ثم يخرج رجل الورود خلفهما)

رجل الألوان: انتظروا.. أزيحوا أولا هذه الأشياء.. اللعنة.. اللعنة.. يحسبونني عصابيا حتى يهدؤوا حالتي بالورود.. (ثم بعد لحظة) لكني لا أنكر أنّها جميلة

(يقترب من إحدى الباقات ويشتمّ) ام! رائحتها.. ما ألذّ رائحتها! سأختار واحدة لزوجي.. (يتنقّل بين الورود في سرعة وخفة وبشكل مضحك) ما أحلى هذه.. بل هذه.. آه، هذه أحلى.. كلّها ورود جميلة.. إذن سأغمض عيني وأختار وردة كيفما اتّفق (يغمض عينيه مختارا كيفما اتفق وردة صفراء) آه! إنّها صفراء.. سأختار أخرى (يختار وهو مغمض العينين وردة أخرى) إنّها حمراء.. كلون هذا الباب المزعج! سأختار أخرى وأخرى وأختار

(يغيب كالمفكّر لحظة، ثم وقد لمعت عيناه)

وجدتها.. سأهدي زوجي باقة كاملة من الورود النادرة.. (ثم مناديا) زوجي.. زوجي.. يا نور عيني.. يا شعر رأسي.. يا.. (تظهر الزوجة)

امرأة الألوان: ما بالك تناديني متغزّلا؟ ألا تعرف أني مشغولة؟

(تنتبه إلى الورود والمزهريات) ولكن ما.. آه! لماذا اقتنيت كل هاته الورود؟

رجل الألوان: لم أقتنيها بل جاءتني!!

امرأة الألوان: جاءتك؟ من أين؟! آه! إنّك تفسد المشروع..

رجل الألوان: لست أنا يا زوجتي بل الغرباء

امرأة الألوان: مرة أخرى الغرباء.. لماذا يصرّ الآخرون على إفساد مشروعي؟

رجل الألوان: هذا خطؤك يا عالمة الأنثروبولوجيا.. كنت دائما أردّد أغلقي هذا الباب، أغلقي هذا الباب.. أغلقيه..

امرأة الألوان: وكنت دائما أجيبك إنّه من متمّمات الفرضية.. الفرضية العلمية.. العلميّة.. ولكن أنّى لأمثالك أن يفهموا في العلم؟

رجل الألوان: ما دمت تعرفين ذلك، فلماذا تصرين على حبسي كفأر تجارب؟!

امرأة الألوان: إن كان لا يعجبك هذا، فارحل.. يوجد آلاف غيرك يحلمون بهذه الفرصة النادرة.. إنّي أعمل على تحويلك إلى رجل مهم..

(تجهد نفسها في التفكير بشكل مضحك) إلى أهمّ رجل قد يعرفه تاريخنا المعاصر.. لكن جهلك يؤذيك

رجل الألوان: (بغضب ساذج) جهلي لا يؤذيني، بل هذا الباب!!

امرأة الألوان: آه! بَطُل المشروع!!

رجل الألوان: أرجوك لا تقولي ذلك، فأنت تعلمين مقدار حبي لك.. إنّك تجرحينني.. إنّك تعذبينني

امرأة الألوان: بل أنت الذي تعذّبني.. أنت الذي تقتلني..

رجل الألوان: (يجثو على ركبتيه متوسلا بشكل مضحك) أرجو عفوك.. أرجو عفوك

(يمد يده تجاهها بباقة الورود)

امرأة الألوان: ما هذه؟

رجل الألوان: باقة ورود كاملة، (ثم بزهو) وتشكيلة فريدة من أجمل الأزهار!!

امرأة الألوان: (متناولة الباقة) يا لذوقك الفريد.. أنّى لي بزوج مثلك!

رجل الألوان: (قائما ثم محنيا جسده إلى الأمام كفرسان القرون الوسطى) تعجبك؟

امرأة الألوان: (مجهشة بالبكاء بشكل مضحك) ممتنة لك..

رجل الألوان: (ممسكا يديها) وأنا ممتنّ للغرباء.. إنّهم يغيّرون حياتنا!!

امرأة الألوان: (تجذب يديها بقوة) الغرباء هم الذين يفسدون مشروعي

(تجول في الفضاء بخفة وسرعة مضحكة، تفحص المكان وتعبث بالورود والمزهريات بينما يتبعها رجل الألوان مطأطئ الرأس كأبله) آه! يا لمشروعنا.. يلزمنا ثلاثة أشهر لتدارك أخطائنا..

رجل الألوان: آه! ثلاثة أشهر وأنا حبيس الجدران كفأر.. آه!

امرأة الألوان: الوقت يمر سريعا.. آه!

رجل الألوان: ليس دائما..

امرأة الألوان: (ملتفتة نحوه) مكانتي العلمية في الميزان، واللجنة تطالبني بتقرير علمي، علمي. آه!

رجل الألوان: وأنا حبيس هذه الجدران. آه!

امرأة الألوان: اتبعني أيها المقرف لتناول الطعام. آه!

رجل الألوان: فكرة جيدة. آه!

(يخرجان)

إظلام- تعتيم

الجهد الثالث:

(نفس المكان، فيما ينعكس ضوء أزرق كلون السماء واضح وجلي وملفت على الستائر البيضاء. يصدح صوت من الخارج كالصدى)

الصوت: يا أيّها الواحد المتوحد في وحدتك.. يا أيها الواحد داخل الجمع.. في البدء كنت وفي المنتهى كما أنت.. كيان بلا ذات وبلا ذاكرة.. لملم كيانك واخضع للامتحان العسير واعرض ذاتك للتنقية والمحاسبة..

(يدخل رجل الألوان في لباسه الملوّن، ويُؤتي ألعاب مهرج.. ثم ينتبه إلى المكان فيشرع في تنظيف الطاولة والأرضية مجهدا نفسه بطريقة مضحكة. ثم يتكلّم في سذاجة وبشكل متقطّع..)

رجل الألوان: الحقيقة أنّ هذا المكان.. لذيذ فعلا.. إنّه.. إنّه.. إنّه بمثابة جنة موعودة، وفيه تختفي الحاجة إلى الاجتماع والتجمّع إلى الأبد.. ما أجمل أن يكون لك عالمك الخاص (يتكلّم دون أن يقطع عمله) بعيدا عن كلّ كائن.. ليت زوجي لم تكن زوجي رغم كوني مدين لها بكلّ فضل.. بكل الفضل.. أنا لا أذكر شيئا عن حياتي السابقة، فأنا إنسان بلا ذاكرة (ينتبه فجأة إلى الهاتف فتظهر عليه بهتة كالمكتشف شيئا، ثم يؤتي ألعاب المهرّج) ترى ما فائدة هذا الجهاز العجيب؟ إنّ الغبار يغزوه لذلك سأنظّفه حتى يعود إليه بريقه (ينطلق إليه لاهيا ويأخذ في تنظيفه بمرح طفولي ويدندن دمدمة بلا معنى ثم يرنّ الهاتف رنينا مفزعا فيتركه ويتراجع إلى الوراء في خفة طفل خائف ولمّا لا ينقطع رنين الهاتف يعود إليه في حذر بالغ يثير الضحك، يضغط على رأسه كالمتذكّر شيئا ثم يرفع سماعة الهاتف في عنف ويضعها على أذنه بشكل مقلوب. يصدح صوت حادّ من الهاتف)

الصوت: أموالنا.. أموالنا

رجل الألوان: (في تلعثم وخوف) أيّة أموال ومن تكونون؟

الصوت: أموال الملابس والورود والدراسات والنفقات.

رجل الألوان: (يفغر فمه ذاهلا) لا أذكر عنها شيئا

الصوت: ما همّنا إن كنت لا تذكر؟ نريد أموالنا

رجل الألوان: أيّة أموال ومن تكونون؟

الصوت: (يعيد كالتسجيل) أموال الملابس والورود والدراسات والنفقات

رجل الألوان: (يفغر فمه ذاهلا)

الصوت: ما همّنا إن كنت لا تذكر؟ نريد أموالنا

(يلقي سماعة الهاتف ويهرب كالملسوع ويبقى الصوت الصادر عن الهاتف مردّدا كلامه كالتسجيل.. يتقدّم رجل الألوان في حذر مضحك ويعيد السماعة إلى مكانها بسرعة، ويعاود الهروب. فيما تتواصل الأصوات.. يبقى رجل الألوان ذاهلا لحظة ثم يدخل في حالة هستيرية وينشأ أفعالا بلا معنى وبلا تفسير.. يتلوى ويركض في اتجاهات مختلفة. ثم وهو على نفس الحالة يصدح صوت خارجي قوي كالصدى)

الصوت: ما تبقى من ذكرياتنا نبيعه لنشتري به بؤسنا.. ما تبقى من أحلامنا نبيعه لنشتري به قبرا ضيّقا حرجا.. يا أيّها المتأوه وحيدا كدأبك، كن..

رجل الألوان: (وهو يركض في كلّ الاتّجاهات) افتحوا الأبواب.. افتحوا الأبواب..

(ثم وهو يحاول فتح الباب الأحمر الذي صار مغلقا بإحكام) لطالما كنت مفتوحا.. اللعنة عليك يا باب الجحيم..

(تختلط الأصوات وتتصاعد في نسق كابوسيّ مزعج.. بينما يتلوّى رجل الألوان ويركض في كل الاتجاهات كفأر سجين يبحث عن مخرج.. ثم تختفي الأصوات تدريجيا وتخور قوى رجل الألوان حتى يصبح غير قادر عن الصياح والحركة كثور مهزوم، يتراخى ويتساقط فيما تتلاشى الإضاءة ببطء..)

-تمت- تأليف من 2008/10/27 إلى 2009/10/10